

كبير آل شتيسل الحاخام الساخر الذي يزور البيوت العربية

دوف غليكمان

حين تتغير الصورة النمطية بوسائل أخرى



● شولام ناظر المدرسة اليهودية الدينية التي تعلم التوراة وفتاواها، والذي ترمّل مبكراً، يعاني من عدم فهم الآخرين له، لاسيما أسرته القريبة، وأولاده الذين يعيشون معه في مجتمعه المغلق.



● المشاهدون الإسرائيليون لا يتعرفون وحدهم، على مجتمع شتيسل، إنما يجد المشاهدون العرب أيضاً، في الكتلة السكانية الأكثر نمواً في إسرائيل، والتي تؤشر إلى المستقبل، جوانب مثيرة جدية بالتوقف عندها. (الصور من فيسبوك)

عنه غليكمان جائزة أفضل ممثل في مهرجان فاناسبورتو في البرتغال. وكان ملهماً لثاسا بارون كوهين، الممثل البريطاني الكوميدي، الذي أنتج له مسلسلًا كتبه غليكمان بنفسه مطلع الألفية، استوحاه من حياته المهنية. ومن عرض "زيهو زي" التي تعني بالعربية "هذه هي"، وبين أعماله الجديدة دور وزير التجارة في فيلم "نورمان" للمخرج جوزيف سيدار، وكذلك دوره في فيلم "أناتومي آينيس" كواحد من الناجين من الهولوكوست.

لا يتعرف المشاهدون الإسرائيليون وحدهم، على مجتمع شتيسل، إنما يجد المشاهدون العرب، وغيرهم حول العالم، في الكتلة السكانية الأكثر نمواً في إسرائيل، والتي تؤشر إلى المستقبل، جوانب مثيرة جدية بالتوقف عندها. خاصة حين يجري الحديث عن الانفتاح على الآخر.

وما كان صعباً تناوله في الماضي، بسبب الحساسيات والتعصب، نتيجته الدراما اليوم بصورها العديدة، ولن تتمكن حتى الآلة المركزية في التفكير داخل إسرائيل من منع نقل صورة الصراع مع اليهود الأوثونوكس. وهم أيضاً الصندوق الانتخابي الذي يبقى السياسيون يراهنون عليه، ففي حين يخطبون ونهم يتمنون لو لا يرون واحداً منهم في الحياة العامة الإسرائيلية، لأنهم يشكون التهديد المباشر للدولة، بفضل قوة خطابهم الداخلي والتزامهم بتقاليدهم.

"آل شتيسل" درس إسرائيلي عربي في الآن ذاته، وشولام ناظر المدرسة الذي صنع أحد تلاميذه، ليفاجأ بأن تلميذاً آخر كان يصور المشهد وينشره على الإنترنت، يجسد عين المشاهد أيضاً، وورطة اليهودي أمام عالم لم يعد يقبل الانغلاق.

الذي يتمكن من مشاهدته على منصة تنقلك بسهولة، إلا أن هذا لا يختص الإيجابية، فالواقع أن هذا المجتمع المغلق الذي لا يعرف عنه العرب شيئاً هو المجتمع الأكثر تزايداً سكانياً في إسرائيل، بنسبة تتجاوز الـ 25 في المئة من الولادات في إسرائيل. وقد شكلت نسبة تزايدهم الـ 72 في المئة من مجمل الزيادة السنوية في عام 2001 وحده.

تقول الإحصاءات إن كل عام يشهد تراوح 5 آلاف شاب وفتاة من الحريديين، وسوف ينجب كل منهم 7 وأحياناً 9 أبناء. وهنا مربط الفرس، وهنا مصب اهتمام صناع "آل شتيسل" فهذه القبلة السكانية ذات التقاليد المغلقة غير المؤمنة بإطار الدولة الإسرائيلية التي قامت على الحركة والفكر الصهيونيين سوف تشكل بعد قليل غالبية سكانية، متماسكة وذات تأثير كبير، وقرارها موحد ومركزي.

ترى العديد من المشاهدين في المسلسل وهي تصور المواجهات، المقابلات التي يعدها الخطابون والخطابات عبر الأهل لأولادهم وبناتهم، حيث يجري ترتيب الزيجات، ولم يسلم شولام نفسه من هذا مواقف، بل إنه وقع في حب الخطابة ذاتها، لكنه تراجع بعد فترة، وفاء لكرى زوجته الراحلة، تلك الذكرى التي لم تمنعه من التفكير في مينوفا التي ربحت بطاقة اليانصيب وكسبت 3 ملايين شيكل.

انفتاح الرؤية
يبدل الحاخام شولام كل جهد ممكن كي يكون مستقيماً، لكن الظروف لا تساعده، فكل ما يفعله ينقلب ضده، حتى بره بوالدته لم يثمر، فبعد أن رعاها طول السنين التي كان شقيقه منوخيم فيها مهاجراً إلى بلجيكا قامت بنسيانته تماماً، وكتبت في وصيتها أن يرث بيتها منوخيم لا شولام. حتى أنها لم تعد تتذكر شولام حين تراه، بينما تعرف كل شيء عن منوخيم، ما زاد من كآبة العجوز. أما مينوفا فقد وقعت في حب أخيه وتركته بعد أن جاءت إلى موعدة الغرامي وكان نائباً بشخر، ولم يوظفه أخوه ليبقى مستقراً بها.

تغرق شخصية شولام في الحزن، وتعود فجأة إلى التهكم، وهو ما برع فيه غليكمان من قبل حين لعب في التسعينات دور البطولة في "أفرايم كيشون"، أو حتى في فيلم الكوميديا السوداء "ذئاب مسنة وسيئة" الذي أنتج في العام 2013، وحصد

أزياًؤهم الأوروبية الشرقية صممت خصيصاً لتميزهم عن غيرهم، معطف أسود طويل وقبعة، وتستكمل الخصلتان المتدليتان قرب الأذن الهيئة مع اللحية التي يحرم قصها أو تشذيبها. أما النساء، فهن في عالم شديد التعقيد، كبيرات السن منهن ترتدين البرقع والتقاب والحجاب، والأحدث سنًا تلتزمن بالبروكات لتغطية الشعر، مع قيود تحريمية لها أول وليس لها آخر.

يعرض المسلسل حياتهم الاجتماعية، حية، وإن كان البعض قد اطع عليها قبل ذلك من القراءات والإعلام الوثائقية، إلا أنك تراهم هنا وهم يعانون من حياة معقدة صعبة، تكاد تتطابق مع المعاناة التي يكادها من يعيشون في مجتمعات إسلامية أو مسيحية متطرفة أيضاً. كل شيء ممنوع. الحدأة والرقص والرسم، حتى الفنون والغناء والرقص والرسم، حتى تحديد النسل. فكل شيء يجب أن يبدأ وينتهي بسؤال "المفتي" الحاخام الذي سيسعد إلى التوراة ويجلب لك النص الملائم وإن لم يجد يخترعه ليزيد من التضيق عليك.

ببنتهم تبدو فقيرة للغاية، بل أقرب إلى الزهد والتقشف والفاقة، وسبب ذلك أن تقاليدهم تحرم عليهم العمل قبل سن الأربعين، ولكنها تفرض عليهم الزواج المبكر من أجل العفة، فيبقى الرجل يتعلم ويأخذ نزراً يسيراً من المال كل شهر، ولا يسمح له بالعمل في السوق ولا المشاركة في الجيش ولا في أي نشاط تقوم به الحكومة الإسرائيلية.

المهم أن يعيش اليهودي في هذا المجتمع منعزلاً، حائراً بين الخوف من الرب، والحياة ذاتها وما تتطلبه من أبسط الأشياء، وهي المفارقة التي قام عليها المسلسل، الذي لا تكاد تخلو حلقة منه من انتقاد الصهاينة حرفياً. حتى أن منوخيم شقيق شولام يكرز ذلك ليصل إلى القول "لا تسلموا أبناءكم للصهاينة". وهذا يظهر الفارق العقائدي والاجتماعي بين النمطين. بالمثل يوجه أبطال المسلسل النقد للعلمانيين اليهود، ولن يسلم أيضاً من ذلك التمييز، الاجتماعي، اليهودي القادمين من الجزائر على سبيل المثال، حيث نشأت قصة حب بين يوسي، حفيد شتيسل، وشيرا الطيبية اليهودية الجزائرية، فرفض أمه غيتي مجرد التفكير بالموافقة على هكذا خرق للجدار الكتيمة.

لماذا هذا المجتمع بالذات؟
قد يتبادر إلى ذهن البعض أن هدف إنتاج هذا المسلسل إنما هو نوع من غسل صورة اليهودي المتطرف في أعين المشاهدين حول العالم، ولاسيما العالم العربي.

نموذج غليكمان في الكوميديا نموذج مختلف، أقرب إلى منهج أنتوني كوين وروبيرت دي نيرو، فالحضور قائم على التهكم لا على الإضحاك، وفق الفارس ونظائره، والسخرية من المحيط والذات تصبح أكثر إثارة حين تصدر من حاخام متشدد تلاحقه المحرمات، ليلاً ونهاراً كما قدم غليكمان شخصية شولام شتيسل.

عالم المتطرفين المغلق
الحريديم وأحياناً يسمون أنفسهم الحسيديين، حسب انقسام فرقههم الفكرية، يتحدثون الديشية التي جلبوها معهم من الأوطان التي هاجروا منها في شرق أوروبا، تيارهم الديني نشأ هناك في القرن السابع عشر، ولو قلنا هذا الكلام أمام الحاخام شولام لسألنا على الفور "وفق أي تقويم؟ الميلادي أم العبراني، فانا لا أتذكر الميلادي؟".

نموذج غليكمان في الكوميديا نموذج مختلف، أقرب إلى منهج أنتوني كوين وروبيرت دي نيرو، فالحضور قائم على التهكم لا على الإضحاك، والسخرية من المحيط والذات تصبح أكثر إثارة حين تصدر من حاخام متشدد تلاحقه المحرمات

الحاخام الحزين المهتم شولام، كبير آل شتيسل، المسلسل التلفزيوني الذي أنتجته نتفليكس وعرضت حلقات جديدة من أجزاءه الثلاثة مؤخراً، يتصدى لذلك التحدي بشخصية أقرب إلى الشخصيات الروائية، ولكن فيها حرارة الحياة.

شولام ناظر المدرسة اليهودية الدينية التي تعلم التوراة وفتاواها، والذي ترمّل مبكراً، يعاني من عدم فهم الآخرين له، لاسيما أسرته القريبة وأولاده الذين يعيشون معه في مجتمعه المغلق. وقد لعب دوره باقتدار الممثل الإسرائيلي دوف غليكمان الحاصل على جائزة الأوسكار المحلية مرتين قبل الآن.

ولد في تل أبيب عام 1949 لوالدين من المهاجرين العلمانيين الروس، هما شلومو وديفورا اللذان وصلوا إلى فلسطين في عشرينيات القرن الماضي. التحق بفرقة مسرح حيفا في السبعينات، وكان أول ظهور له على الشاشة في عام 1977 في فيلم "باراترويز" للمخرج جود نتمان. وقد عرفه الجمهور من خلال مشاركته في تقديم العرض التلفزيوني الأكثر شهرة والذي استمر عرضه لعشرين سنة متواصلة "زيهو زي"، بالتعاون مع جيدي جوف وموني موشونوف وشلومو بارابا.

إبراهيم الجيبين
كاتب سوري

حتى وقت قريب كان لصورة رجال الدين اليهود تأثير سلبي مباشر على العين العربية، ولم يكن هذا بلا أسباب بالطبع، فتكريس تلك الصورة النمطية العدائية تم عبر عقود من الزمن، وأسهم في خلقه طرفاً الصراع العربي الإسرائيلي اللذان استخفرا في تشويه كل منهما للآخر وإشارته ورموزه.

بالتأكيد، هناك حاخامات منطرفون عبروا، مظلماً "حاخامات" مظهر لدى المسلمين والمسيحيين في المنطقة، عن رغبة وممارسة أكيدة في نشر الكراهية والعنصرية والطائفية ورفض الآخر وإلى آخر سلسلة الغرائزات التي تفتك بالمشرق العربي. غير أن هذا ليس هو القاعدة، فالعالم مليء برجال دين يتعالون على الكراهية، ولا يؤمنون أساساً بوجوب الخطوط الفاصلة بين المجتمعات على أساس ديني، وهم أيضاً يتحدثون من الأديان الثلاثة السعيدة. لكن أن تكون حاخاماً يهودياً ومستوطناً في القدس وأرثوذكسياً حسيدياً متغلقاً فهذا يصعب عليك المهمة، ويصبح موضوع أن تقنع الآخر بأنك منفتح عليه أمر أقرب إلى المستحيل.

الحاخام الحزين المهتم شولام، كبير آل شتيسل، المسلسل التلفزيوني الذي أنتجته نتفليكس وعرضت حلقات جديدة من أجزاءه الثلاثة مؤخراً، يتصدى لذلك التحدي بشخصية أقرب إلى الشخصيات الروائية، ولكن فيها حرارة الحياة.

شولام ناظر المدرسة اليهودية الدينية التي تعلم التوراة وفتاواها، والذي ترمّل مبكراً، يعاني من عدم فهم الآخرين له، لاسيما أسرته القريبة وأولاده الذين يعيشون معه في مجتمعه المغلق. وقد لعب دوره باقتدار الممثل الإسرائيلي دوف غليكمان الحاصل على جائزة الأوسكار المحلية مرتين قبل الآن.

ولد في تل أبيب عام 1949 لوالدين من المهاجرين العلمانيين الروس، هما شلومو وديفورا اللذان وصلوا إلى فلسطين في عشرينيات القرن الماضي. التحق بفرقة مسرح حيفا في السبعينات، وكان أول ظهور له على الشاشة في عام 1977 في فيلم "باراترويز" للمخرج جود نتمان. وقد عرفه الجمهور من خلال مشاركته في تقديم العرض التلفزيوني الأكثر شهرة والذي استمر عرضه لعشرين سنة متواصلة "زيهو زي"، بالتعاون مع جيدي جوف وموني موشونوف وشلومو بارابا.

قد يتبادر إلى ذهن البعض أن هدف إنتاج هذا المسلسل إنما هو نوع من غسل صورة اليهودي المتطرف في أعين المشاهدين حول العالم، ولاسيما العالم العربي.